معالجة العنف لدي الأطفال من خلال الأنشطة المدرسية [الرسم كمثال]

د.سلمي رمضان جبران

العنف مشكلة كبيرة تهدد المجتمع

شكل (1) نموذج لحالات العنف عند أطفال المدارس

العنف لدي الأطفال من أهم المواضيع التي تشغل التربويين في محاولة للحد منه والبحث عن علاج له لما يسببه من الأذي للطفل نفسه وللأطفال من حوله شكل (1) وما يكون للعنف من تأثير علي واقع الأطفال ومستقبلهم وبالتالي له آثار علي المجتمع ككل .

فكان لابد من معرفة أسباب العنف ودوافعة للحصول علي علاج لتلك المشكلة فاذا علمنا أن من أسباب العنف تفريغ الطاقة المكبوتة والتعبير عن النفس ومحاولة اثبات الذات. عرفنا الحل بزرع الثقة في النفس لدي الأطفال .

ومن أهم الفنون لزرع الثقة بالنفس ممارسة أنشطة الرسم والتصوير للتعبير عن النفس وتحويل الطاقة السلبية الي طاقة إيجابية يحتزي بها زملائه من خلال تعزيز ذلك السلوك ومن خلال هذا العرض نفسر هذه الظاهرة وطرق علاجها من خلال ممارسة الفنون التشكيلية والرسم كنشاط مدرسي .

العنف لدي الأطفال من أهم المواضيع التي تشغل التربويين في محاولة للحد منه والبحث عن علاج له لما يسببه من الأذي للطفل نفسه وللأطفال من حوله وما يكون للعنف من تأثير علي واقع الأطفال ومستقبلهم وبالتالي له آثار علي المجتمع ككل .

فكان لابد من معرفة أسباب العنف ودوافعة للحصول علي علاج لتلك المشكلة فاذا علمنا أن من أسباب العنف تفريغ الطاقة المكبوتة والتعبير عن النفس ومحاولة اثبات الذات. عرفنا الحل بزرع الثقة في النفس لدي الأطفال .

ومن أهم الفنون لزرع الثقة بالنفس ممارسة أنشطة الرسم والتصوير للتعبير عن النفس وتحويل الطاقة السلبية الي طاقة إيجابية يحتزي بها زملائه من خلال تعزيز ذلك السلوك ومن خلال هذا العرض نفسر هذه الظاهرة وطرق علاجها من خلال ممارسة الفنون التشكيلية والرسم كنشاط مدرسي .

ما هوالعنف والعدوان:

يعتبر العنف والعدوان نزعة او مجمل النزعات التي تتجسد في تصرفات ترمي الي إلحاق الأذي بالاخر وإكراهه وازلالة (موسي، 1991) الأن (حامد زهران1978) يذهب الي تعريف العدوان بأنه الهجوم نحو شخص أو شيء مسئول عن إعاقة بالغة مثل الكيد أو التشهير شكل (2) أو الإستخفاف أو الهجاء الموجه الي الأعداء كما أن دولا ريد وميلر اخرون (1939)

شكل (2) نموذج للتنمر والعنف الجسدي لدي الأطفال

يرون أن العدوان له علاقه مباشرة بالإحباط ومهما اختلفت وجهات النظر في تعريف العدوان الا أن واقعنا نرا العنف قد انتشر في أوساط طلاب المدارس حيث قضاء ساعات طويلة مع بعضهم في أوقات دراسية او فترات راحة مما يؤدي الي حدوث كثير من المشاحنات والتنمر والعنف فكان لزاما علينا أن نبحث تلك المشكلة حتي نستطيع مواجهتها والبحث لها عن حلول لتجنب المجتمع ويلات الصراعات التي تضيع علي الأطفال متعتهم وعلي الشباب طاقتهم وابداعهم مما يؤثر في المجتمع بالسلب .

مظاهر السلوك العدواني والعنيف: إن مظاهر السلوك العنيف تختلف بالتأكيد بإختلاف عمر الطفل وجنسه واقامتة وتنشئته الأسرية ومستواها الإجتماعي والثقافي وتشير هدي قناوي (1988) أن العنف في مرحلة ما قبل المدرسة قد يأخذ شكل الضرب للاخرين وتكسير الممتلكات والالعاب، كما إنه يكون بالهجوم اللفظي، ومقاومة ما يوجه اليه من طلبات أو أوامر بالرفض ،كما أن هناك أطفال لايكشفون عن عنفهم بالتلفظ بالسباب والشتائم، والصراخ، كما ان يلغتهم تدل علي السيطرة، وقد يتحدثون فيما سيفعلون بالأخرين بسوء ،وهي تعبيرات تدل علي الاستياء من الآباء أو الراشدين ممن حولهم .

من أسباب ظاهرة العنف لدي الطلاب:

- التقليد الأعمي والمحاكاة
- القلق النفسي والعدوان
- الشعور بالعجز والنقص والإنهزام وعدم الثقة في النفس .
- التنشئة الوالدية الغير سوية والعدوان تنشأ عنها ضغط نفسي يتحول الي عنف .

كما أن هناك نوعان من العنف والعدوان من حيث الإتجاه:

قد قسم الي ساجان (1971) العنف الي نوعين : نوع موجة نحو الاخرين وهو السلوك العدواني الذي يكون الهدف منه ايذاء الآخر شكل (3).

العنف تجاة الذات: قد يكون بسبب الشعور بالذنب الذي يثير الحاجة الي عقاب الذات، أو الخوف من ردة فعل المعتدي علية فيوجة عدوانه الي نفسه.

شكل (3)

طرق العلاج وتعديل السلوك:

بالرغم من أن الأطفال يمارسون العدوانية من وقت لآخر، فمعظمهم يندمون على هذا السلوك، ويعبرون عن الندم، أما العدوانيون لا يأسفون عما يفعلون، ويبدوا استمتاعهم بإزعاج الآخرين، ويجدون في ممارسة العدوانية تعزيزا لإحساسهم بالثقة، وتحقيق لذواتهم (زياد الحكيم،2001).

ومن هذا المنطلق ظهرت الكثير من البرامج والأساليب التي هدفت إلى علاج السلوك العدواني والحد منه في المدارس بشكل واضح. ومنها برامج اهتمت باستخدام الأنشطة الفنية

ودراسة قدرتها على تقليل السلوك العدواني باعتبارها متنفسا عن الطاقة الكامنة عند الطفل. فعن طريقها يمكن تعديل السلوك العدواني عند الأطفال في هذه المرحلة. وذلك لما لها من دور كبير وفعال في علاج الكثير من السلوكيات غير التوافقية عند الطفل(فالنتينا وديع سلامة،20)

العلاج بالفن:

لقد بدأ مجال العلاج بالفن التشكيلي بعد خروج التحليل النفسي لفرويد، وعلم النفس التحليلي ليونج، ومع مرور الزمن، والتطور المتسارع لهذا المجال، تعددت إستخدامات الفن في العلاج النفسي حتى جاءت تسعينات القرن العشرين بتباشير أكثر شمولية في إستخدام الفن كأداة للعلاج، ومبتعدة عن الفصل بين العلاج النفسي بالفن، والعلاج بالفن.

نتيجة لتنوع المجالات التي يستخدم فيها الفن في خدمة الإنسان من الناحية العلاجية، ومع مرور الزمن يكثر الممارسون للعلاج بالفن التشكيلي، وتتعدد الحالات المرضية حيث يختلف وضع البرامج، والأساليب العلاجية. مما زاد من خروج العديد من الدراسات، والأبحاث التي وسعت من دائرة إستخدام الفن كأداة للعلاج النفسي، والتأهيلى(عوض مبارك، 2001، 12).

تعد الفنون من أكثر الأساليب إتاحة للتعبير عن الكثير من الخصائص النفسية للأطفال، وقدراتهم العقلية، وسماتهم الشخصية .نظرا لأن الطفل يتجاوز بها كل الحدود الواقعية الممكنة وغير الممكنة. شكل (4) ومن هنا تساعد في التعبيرعن انفعالاته الكامنة لتعكس أفراحه، وأحزانه، وما يشعر به من إحساس بالعجز، وغيرها من الأحاسيس المختلفة (عبد المطلب القريطى،1995).

شكل (4) علاج العنف بنشاط الرسم والتلوين بالمدارس

ومن الناحية الطبية ترى (عبلة حنفي عثمان،1999) العلاج بالأنشطة الفنية طريقة مفضلة لأنها لا تأخذ شكل أنواع العلاج المعروفة التي تعتمد على المواجهة بين المريض، والمعالج وسؤال للمريض، أو ترك المريض ليسترسل. ومن أمثلة الأنشطة الفنية الرسم، والنحت، والأشغال الفنية، التشكيل المجسم...الخ.

يرى(عبد المطلب القريطي،1995) إن الأنشطة الفنية تستخدم كأسلوب للتنفيس عن المشاعر، والأحاسيس التي يعانى منها الطالب عندما يعبر عنها تعبيرا حرا ويصورها بطريقة تنشط خياله وتساعده على الإفصاح بأسلوب أوضح فتعبر بذلك عن حالته، وتساعده في الوقت نفسه على تفريغ الشحنة الانفعالية التي بداخله، وبذلك تكون لها وظيفة تشخيصية وعلاجية. مدللا على ذلك بأن الفنون تساعد على تحرر النفس الداخلية من التوترات، والصراعات، والإحباطات،وتكسب الفرد قوة تعويضية، وتأكيد لذاته، والقدرة على الاتصال بالأخريين.

عند إتاحة الأنشطة الفنية للطفل، سرعان ما ينخرط فيها، وبذلك تتاح له الفرصة لإسقاط رغباته، ومخاوفه، ومشكلاته، وأحلامه فيجد المتعة التي تدفعه إلى المزيد من التعبير عن ذاته(عبلة عثمان،1989).

العلاج بالفن التشكيلي يعتبر من المجالات حديثة العهد حيث كانت إنطلاقته فعلية في الأربعينيات القرن الماضي مع (مارجريت نومبيرج) بعد دراسات العالم النفسي فرويد Froid الذي كشف عن ماهية الفن، وقدرة الفنون التشكيلية على احتضان مشاعر نفسية، وذات صلة مباشرة باللاشعور تكشف عن المشكلات النفسية.

نشأت هذه الحركة العلمية من حاجة تلك المجتمعات إلى وجود حلول لمشكلات نفسيه، وإجتماعية، ومن وجهة نظر أخرى فإنها نشأت من إيمان رواد تلك الحركة بفائدة الفنون كطريقة للعلاج، سواء أكان نفسيا أو إجتماعيا. وإعتمدوا في ذلك على خبراتهم الفنية الخاصة، بالإضافة إلى الدراسات الدقيقة في مجالات علم النفس، وفى علم الإجتماع، والفن (عوض مبارك، 2001، 10).

كما أشار(فهد بن سليمان، 2003، 11) بأن برامج العلاج بالفن قد طورت أساسا لمقابلة الإحتياجات الخاصة لأفراد معينين كالمرضى النفسيين، وذوى الإضطرابات الإنفعالية، وزوي الإحتياجات الخاصة، ولم يعد العلاج بالفن قاصرا على المرضى النفسيين، والعقليين، وذوى الإضطرابات السلوكية، وإنما إمتد إستخدامه إلى مجالات، وفئات أخرى مختلفة كالمتخلفين عقليا، والمعوقين حسيا، وحركيا، وإنفعاليا، والجانحين والأحداث، وتمتد برامج العلاج بالفن بالنسبة لهذه الفئات تبعا لطبيعة إنحراف أو إعاقة كل فئة منها، ودرجة هذا الإنحراف وإحتياجاتها الخاصة.

التعبير الفني:

التعبير الفني شكل (5) يمكن أن يسهم في تعديل الكثير من الاضطرابات السلوكية عند الأطفال. كما يساعد في معرفة مظاهر هذه الاضطرابات، ومعرفة الجذور الانفعالية لها، ومحاولة علاجها لاستعادة التوازن الانفعالي والشخصي والاجتماعي للأطفال والحفاظ على صحتهم النفسية ومن ثم يمكن للأنشطة الفنية التشكيلية تعديل السلوك العدواني للطفل.

شكل (6) التعبير الفني طريقة من طرق العلاج وتعديل السلوك

هدفت دراسة (فالنتينا وديع سلامة، 2001) إلى الخفض من حدة السلوك العدوانى لدى عينة من الأطفال إلا أنها اختصت الأطفال الصم فى مرحلة الطفولة المتأخرة من سن 9– 12، وذلك بدراسة فاعلية الأنشطة الفنية، الرسم، والنحت، والخزف، والتشكيل المجسم، وتكونت عينة الدراسة من40 تلميذ، وتلميذة مقسمة إلى مجموعتين: مجموعة ضابطة، ومجموعة تجريبية، وقد تم تطبيق مقياس السلوك العدواني للأطفال الصم قبل إجراء البرنامج، وبعده، وبينت النتائج فعالية الأنشطة الفنية في خفض حدة السلوك.

أسس استخدام الفن وسيلة علاجية :

- التعبير الفني وسيلة لإسقاط مخاوف الفرد، ومشاعره، وإدراكاته، وإتجاهاته، كما إنه وسيلة للتنفيس عن الضغوط، والتوترات اللاشعورية المختزنة. مما قد يعجز الفرد أو يحجم عن الإفضاء به بالطرق المعتادة كاللغة اللفظية في كثير من الأحيان.
- إن الفرد ينفس عن إنفعالاته، ونزعاته الداخلية، ويجسد عواطفه، وصراعاته، ومشكلاته عن طريق الترميز البصرى من خلال الفن. فذلك يساعده على اكتشاف مشكلاته بدلا

من كبتها، والتعبير واتعبير عن النزعات العدوانية بطريقة مقبولة مما يحقق له التوازن الداخلى، وتعزيز شعوره بالأمن، والثقة بالنفس.

- إن إسقاط الصور الداخلية، وتجسيدها في رسوم خارجية يؤدى إلى بلورة التخيلات، والأحلام، وتثبيتها في سجل مصور ثابت يعين الفرد على التحرر من قبضة الصراع، والنظر إليها بموضوعية، ومعرفة التغيرات التي تحدث من خلال عملية العلاج بالفن ثم تقييم التقدم العلاجي.
- الفن وسيلة تعويضية عما يشعر به الفرد من عجز، وقصور نفسي أو جسمي أو إجتماعي، فمن خلال التعبير الفني يمكن أن يشبع الفرد بدرجة ما حاجاته، ورغباته المحبطة التي عجز عن تحقيقها في الواقع.
- التعبير الفني وسيلة ميسورة للإتصال، لاسيما بالنسبة لأولئك الذين يجدون صعوبة ما في الإتصال اللفظي، ويعانون من الوحدة والإنغلاق على أنفسهم.
- يكسب التعبير الفني شعورا متزايدا بالنجاح والقدرة على الإنجاز، وهو ما يمثل أهمية بالغة لمن لم يتمكنوا من إكتساب مشاعر الثقة بأنفسهم، وإختلت صورهم عن ذاتهم من خلال تجاربهم السابقة المقرونة بالفشل والإحباط. (عبد المطلب أمين القريطى، 1995)

الأنشطة الفنية التي تتغلب علي السلوك العدواني:

الأنشطة الفنية التي يمارسها الطالب ويستطيع من خلالها ان يتغلب علي السلوك العدواني (موضوعات مقترحة كمثال)

الأنشطة الفنية:

- التعبير الفنى (الرسم بالشمع والفلوماستر والحبر، شخصيات خيالية، رسم الأسرة).
- التشكيل المجسم (ريليف زهور، حوض سمك، تشكيل بواقي الخشب).

الأنشطة الفنية المختلفة لأطفال المدارس

أهداف الأنشطة الفنية:

- تدريب الطفل على الأسلوب اللاعدوانى تجاه الآخرين والأشياء.
- إعطاء فرصة للطفل للتعبير عما يعتمل داخله عن طريق استخدامه للخامة.
- استخدام الأساليب الفنية المختلفة للتقليل من شدة السلوك العدواني.
- ترك فرصة للطفل للتنفيس الإنفعالى.
- تقليل السلوك العدواني لدى أطفال الروضة من خلال التعاون بين بعضهم البعض.

طريقة تقديم الأنشطة الفنية المقترحة:

1- أسلوب الممارسة الجماعية والفردية حسب نوع كل مجال ومتطلباته.

2- تقديم الأنشطة الفنية على هيئة دروس مبسطة حتى تتلاءم مع طبيعة مرحلة الروضة.

3- ترتيب الأنشطة الفنية بحيث يتم التبادل والتنوع في الأنشطة حتى لا يشعر الطفل بالملل والضيق.

4-تقدم الدروس على هيئة جلسات وكل نوع من الأنشطة الفنية مخصص له 9 جلسات أي أن التعبير الفني له 3 أفكار من نفس نوعه فتتم تطبيق أنشطته على 9 جلسات لكل فكرة 3 جلسات وبالمثل النوع الآخر من الأنشطة الفنية وهو التشكيل المجسم.

المراجع:

1-فالنتينا وديع سلامة(2001). فاعلية الأنشطة الفنية في تخفيض حدة السلوك العدواني لدى الأطفال الصم في مرحلة الطفولة المتأخرة. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.

2-عوض مبارك اليامى(2001). العلاج بالفن التشكيلي، مركز التأهيل بالفن التشكيلى، الرياض.

3-عبد المطلب القريطى(1995). مدخل سيكولوجية رسوم الأطفال، دار المعارف المصرية، الطبعة الأولى.

أتمني أن يكون هذا العرض قد ألقي الضوء علي قوة تأثير نشاط الرسم علي طلاب المدارس ويكون خطوه نحو تأثير الفنون في المجتمع وإفساح المجال لها لتكون عامل فعال نحو قيام مجتمع متماسك خالي من الأمراض النفسية. شكرا لحضراتكم لحسن إستماعكم .